تستوجب اخذ الظواهر بكل عناصرهـــا ومكوناتها لا قطعها عن مسار صيرورتهـا او اجتزاء هذا المسار ٠

٣ ــ ولن ينفي هذا التقدير الـــذي عرضناه حول منهج العظم بوجه عـام ، وحول منهجه الذي اتبعه في كتابه « زيارة السادات وبؤس السلام العادل » كما سبق وقلنا ، اهمية بعض الافكار الواردة فـي كتابه الاخير وفي مجمل كتاباته الاخرى ٠ ولكن من الضروري الانتباه الى الاخطـاء المنهجية والاخطار المترتبة عليها والناجمة عنهـا ٠

نذكر ذلك انطلاقا من اتفاقنا مـــع « العظم » على خطورة المرحلة ، وضخامة المصاعب التي تلقيها على عاتق الحركـة التحررية العربية والقوى الثورية فـــي الوطن العربي ، الامر الذي يتطلب مـــن مفكري هذه الحركة وقادتها انتباها اكبـر لوسائلهم ونشاطهم النظري والعملـي ٠ ولعل جبهة النظرية هي اليوم الجبهـــة الاكثر مسؤولية وخطورة ، فعليها يتوقف الشيء الكثير في مجال تقرير وجهة سير الصراع واتجاهاته اللاحقة ٠

ومن ابرز مهمات هذه الجبهة واكثرهـا الحاحا ، مهمة بناء وعي مضاد لحالـة التدهور والردة الطاغية ، الامر الـذي لا يمكن تحقيقه من دون العودة الـــى الجذور والى المكونات البنيوية والتاريخية بغية فحصها وتشخيص مصادر عللها ٠ لقد اكد العظم على ولادة مرحلة السادات من رحم النظام الناصري الذي ولد وهو يحمل في احشائه عوامل الردة والتراجع ٠ لكنه نسي ان يلاحظ بأن «مرحلة الناصرية» هي الاخرى وليد وثمرة نضال طويـــل تعود بداياته الى بواكير عصر النهضـــة في الوطن العربي ، وان الاجابة بأن الاصل « منخور » لا تجيب على شيء ولا تتـــرك سوى الحيرة والاستسلام لـ « عدالـــة البؤس » ٠ وعدا عن اهمية هذه المسالة فان ثمة ضرورة ملحة لان يجري الكشف عن آلية العلاقة التاريخية والآنية ، فضلا عن العلاقة المستقبلية القائمة بين واقعنـا والعالم ، من منطلق البحث عن مستجدات الصلة مع الغرب والتطورات الحاصلـة على هذه الصلة ، استنادا الى العلـــم والوقائع ٠

ومثل هذه المهمات لا يمكن انجازهـــا فعلا بسيادة منطلق تبسيطي كذلك الـــذي يحسم « العظم » به الامور قائـــلا : ان « السادات » هو التطور الطبيعي والحتمي لـ « عبد الناصر » وعبد الناصر ما هـو الا التطور الطبيعي والثمرة الطبيعيـــة لجسم متخور اصلا ٠٠٠ الخ ٠

٤ ــ ان السياسي يحدده الاقتصادي ، ولهذا فان اعطاء حكم عن السياســـة الامريكية مثلما يفعل صادق العظم ، يظـل قابلا للاجتهاد ، ولن يكتسب قيمة فعليـة اذا لم يرتكز الى تحليل مكونات هـــذه العلاقة على صعيد آلية وطبيعة ارتبـاط التبعية الاقتصادية القائم بين الانظمـــة العربية والامبريالية الامريكية ٠ وليـس يكفي في هذا الميدان التقاط ظواهر عامـة والتعكز على اراء مبعثرة وشائعة لاعطاء وتكوين احكام سياسية خطيرة كتلك التي يطلقها العظم ٠

واذا كان العظم يأمل ــ وهو يأمل كمـا يتأكد من كتاباته ــ بأن يسهم في اغنـاء نظرة قوى حركة الثورة في الوطن العربي، فانه بهذا يلزم نفسه بشروط اكثر قسـوة من تلك التي حددها لنفسه في كتابه هذا ٠

ولهذا ، وبسبب قسوة الظروف الراهنة، فان كتاب « صادق العظم » الاخير ، يفتقد الى الكثير من القيمة التي احتواها مثـلا كتابه « النقد الذاتي بعد الهزيمة » مـــن حيث ايقاظه للوعي وتوجيهه وجهة ناقدة ٠ والسبب ، هو التهاب والحاح مهمة صياغة عناصر البديل على صعيد الوعي مـــن جهة ، وحساسية وخطورة الايحاء بافتقاد الامل بشيء ، في وقت يبدو فيه الظـلام مطبقا ، والحاجة الى شعاع نور اثمن مـا يمكن تقديمه ، وعلى قاعدة سليمة ٠

امير حيدر